اقسم مقاطعة ابنته وزوجها الكلام مدى الحياة لان صهره فنان مع العلم كان من أبناء العمومة. ثم مات... مات ذلك الفنان وخلف أرملة تجر أذيال الخيبة وما زال الأب ممتنعاً عن الكلام مع ابنته! مات الفنان وانقطع ذلك الوتر الذي كان يشدو معاتباً ضمير الإنسانية باسم قومه. مات مغني الطاحونة لكن الطاحونة ما زالت تدور وتدور وهنا لابدّ ان ننصف والد الزوجة ايضاً، لانه ابن مجتمعه، وبالتالي فهو ابن تقاليده ومهمته هي ليست مهمة المبدع، والمبدع من وجهة نظرنا متحدٍ سواء كان الإبداع فناً أو علماً أو فكراً، وما من إبداع دون تحد وكثرة من المبدعين دفعوا ضريبة إبداعاتهم عبر التاريخ، لا بل دفعوا بحياتهم بسبب إبداعهم.

الغناء

يذكر توما بوا ان الباحث الأرمني ابوفيان وصف الشعب الكُردي بأنه شعب غناء رجالاً ونساءاً (٧٦). وان الأغاني الكُردية عديدة في كمها وكثيرة التنوع، أغاني يغنيها الرجال وأخرى تغنيها النساء وأخرى يغينها الأطفال. أغنيات تغنى في الجبل وأخرى تغنى في السهول وأخرى يشترك فيها السهل والجبل.

لقد عشق الأديب الكُردي المعروف يشار كمال من كُردستان تركيا أغنيات بلاده الكُردية ذلك الأديب الذي حظي بجائزة نوبل في ١٩٧٣ وتجلى ذلك العشق في وجدانه (٧٢) والغناء الكُردي فيه ملاحم كثيرة وقصائد فروسية مغناة مثلما هناك اغاني في العشق والحب والهجر والوصال وللمناسبات أغانيها فتلك أغنيات تغنى في موسم الحصاد وأخرى تغنى امام دواليب الغزل وأخرى تغنى على الطاحونة أو المجرشة وهناك من الأغنيات التي تغنى من قبل الفتيان او الفتيات والركب الطويل يشق طريقه نحو أعالي الجبال في الربيع أو عندما ينحدر في عودته الى السهل في الخريف (٧٣).

اما باسيل نيكتين فيحدثنا عن إجماع الرحالة على الإعجاب الشديد بالغناء الكُردي ويستعرض عدة آراء للرحالة الذين سمعوا الغناء الكُردي ويذكر نيكتين مقولة لـ أبوفيان الذي مر ذكره ان القصائد الكُردية الشعبية تطورت كثيراً وبلغت حدود الكمال.

ويأتي ذكر (بلو) في كتاب نيكتين الذي كان قد تعمق في دراسة كُردستان في جزئها الشمالي الشرقي وقد عرض هذا مميزات الأغاني الكُردية وابرز أهميتها الكبيرة في الحياة الكُردية وهو يذكر ان اشد القبائل الكُردية بؤساً، غنية في أغانيها وألحانها ولاتقتصر أقاصيصهم التي تنشد وثائق الحرب على الكُرد الرحل حسب بل تتعداهم الى الحياة الحضرية اذ يجمع المغني حوله في المساء أفراد القرية ويبعث ذكريات الأبطال المحاربين القدماء أو هو يثير الشجون بقصائده عن الحب والألم والفراق (١٣٢).

ان ابوفيان يخبرنا من خلال أغاني استمع لها بكل ثقة ان الأغاني الكُردية تتمتع بالعمق والذكاء والعاطفة. ويذكر نيكتين ان الرحالة والعلماء يعزون جودة الأغاني الكُردية الى صفات الفروسية التي يتحلى الكُرد بها ثم يستشهد بما يذكره السير (مارك سايكس) الذي يعلل هذا الثراء في الغناء الكُردي كونه يتمتع بمميزات يتحلى بها الكُرد دون جيرانهم من الترك والأرمن.

اما لايارد الذي ورد ذكره في كتاب نيكيتين ايضاً فقد ابدى إعجابه كثيراً في الغناء الكُردي لدى اليزيديين اذ هو يصف الغناء الكُردي على الأضرحة وهو يخبرنا بأنه لم يسمع قط غناءً يبعث الحزن واجمل مما سمع، ثم يصف انغام المزمار الممتزجة بعذوبة مع أصوات النساء والرجال التي تتوقف بين حين وآخر لتترك المجال للصناجات والطبول (١٣٣).

لقد زار السير مارك سايكس مدينة كركوك قبل قرن من الزمان، واستقبله القائد العام للجيش التركي لمنطقة كركوك. ويبدي سايكس إعجابه بشخصية الباشا القومندار (Commandar Pacha). وفي حفلة عشاء جلب القائد التركي فرقة موسيقية ويبدو انها كانت عسكرية للترفيه عن الضيف، لكن السير مارك سايكس ذكر ان الأتراك يصرون عادةً على عزف الموسيقى الغربية ويعرب عن اسفه انهم يعزفونها بشكل رديء وبفوضى. وفي تلك الليلة عزفت الفرقة المارسيلايز (النشيد الوطني الفرنسي) وكذلك عزفت بعض المارشات الالمانية ولكن السير سايكس الضيف ابدى رغبته في ان يسمع شيئاً من الموسيقى الكُردية، وعندها بدت على الباشا التركي علامات السخرية والازدراء لهذا الطلب. إلا ان رئيس الفرقة ابدى استعداده وتحدث الموسيقيون بعضهم مع البعض ثم بدأوا يعزفون الموسيقى الكُردية ويقول سايكس بهذا الصدد، أخذت الالحان الرائعة تنساب من آلاتهم حتى جعلته -كما يذكر- يشعر وكأنه ينصت الى سمفونية جايكوفيسكي وبدأ الحزن والانقباض يزولان من خلال المزامير القصبية تصاحبها الطبول والصناجات النحاسية.

ويعلق سايكس على ذلك بانه لاحظ الموسيقيين بدورهم كانوا يشعرون بسعادة اكبر مما لو عزفوا (الدانوب الازرق) في ظرف غير مناسب زماناً ومكاناً ودرجات صوتية (١٩٩).

ويبدو ان الكُرد من وجهة نظر مارك سايكس أكثر تمسكاً بعاداتهم وتقاليدهم الغنائية مقارنة بالأتراك والأرمن.

اما ميلنكن يصف حلقة غنائية كردية امتدت تحت الخيمة وخارجها وكانت تتألف من محاربين شباب وكهول وشيوخ وكلهم متربعون على الأرض، واستمرت التسلية الغنائية مدة ساعتين ويعبر ميلنكن عن سعادته بتلك الحفلة الغنائية العفوية اذ يذكر ان سرعان ما جرفه تيار الشعر والموسيقى والغناء ويؤكد ان إحدى تلك الأغاني أثرت فيه الى حد انه لبث زمناً

طويلاً فيما بعد يرددها ويطرب لها... هذه الإنطباعات لـ لايارد ومارك سايكس وميلنكن وجدت في كتاب نيكيتين (١٣٢-١٣٤).

اما مينورسكي فقد أشار الى الملاحم الكُردية المغناة وهو يعد هذه الأغاني الملحمية جزءاً من الأدب الشعبي الكُردي. ويذكر من هذه الملاحم المغناة ملحمة قلعة دمدم الواقعة جنوب اورمية بالقرب من نهر براندوز التي غزاها الشاه عباس الفارسي ويترنم الكُرد بإعجاب باستبسال المقاتلين الكُرد في تلك الملحمة وهي كما يؤكد مينورسكي، تتضمن أحداثا واقعية. وكذلك يشير مينورسكي الى الملحمة القومية الرائعة، مم وزين التي يغنيها الكُرد، هذه الملحمة التي تحكي قصة عاشقين حال عامل التباين الإجتماعي بين زواجهما فقد كانت زين شقيقة أمير بوتان في كُردستان تركيا. الحقيقة ان هذه الملحمة التي تنتهي بموت العاشقين لاتقل ان لم نقل أنها تفوق روائع تراجيديا الغرام في الأدب الرفيع العالمي اذ لانجد في روميو وجوليت شكسبير ما يفوق مم وزين روعة.

وحسب اطلاع المؤلف شخصياً فإن الغناء بالكرمانجية الشمالية الكلاسيكي منه أو ما يسمى بـ(المقام) تكاد لاتكون أغنية منه دون رواية، فالاغنية الكُردية الكرمانجية رواية مغناة، تعقبها أغنية خفيفة أو ما يسمى بـ(البستة) والبستة عادة لاتغنّى في مجالس الرجال بل هي اقرب الى أغنيات الشباب وهي أغاني رقص وإيقاع سريع. اما المقام أو (اللاوك) أو (الحيران) فهي أغاني وقورة ويشتد وقارها عندما تكون موضوعاتها حول القتال والمعارك والرجولة والبطولة ولهذا فإن هناك بعض المضايف التي لاتغنى فيها من الأغاني الكلاسيكية الا ما يتعلق بالمعارك والبطولة، اما ملاحم الحب والغرام فتعد في (بعض) المجالس غير ذات قيمة. وهنا علينا ان لاننسى مسألة جد مهمة وهي ان عامل التغير الإجتماعي عامل فاعل ومستمر. وان عملية التفاعل الإجتماعي الكُردي مع الأغنية الكُردية اليوم قد أصابها بعض التغير شكلاً ومضموناً وهذا امر طبيعي، ولكن ما عرضناه آنفا فقد عرضناه ضمن المناخ الإجتماعي الذي كتب المستشرقون والرحالة إنطباعاتهم عن الأغنية الكُردية. ومع هذا فإننا نجد في الريف والقبائل والى يومنا هذا ما ذكرناه حول منزلة الأغنية الملحمية الحربية منها والغرامية ومنزلة الأغنية الخفيفة أو (البستة).

اما ادموندز فيحدثنا عن إنطباعه عن الأغنية الكُردية في قرية بزَنيان التي كما يصفها، انها كانت قرية عامرة تتألف مما يقرب من مائة بيت على ما يظهر من خرائبها ولم يبق منها غير عشرة بيوت. ويملك فيها الشيخ محمود* بساتين وكروماً.

وعلى ما يبدو ان ادموندز الذي احب اللغة الكُردية وتبحر فيها من بعد، كان يرغب في ان

* الشيخ محمود الحفيد، الشخصية القومية والروحية المناضلة.

يسمع أغنية كردية وعندما طلب ذلك أتوا له بثلاثة من الدرك، بدأوا يغنون له أغنيات فارسية اتسمت بطابع العصبية والحماس -على حد تعبيره- ربما ظن اصحاب القرية ان الأغنية الفارسية هي الأجدر في إكرام الضيف، وهذا على ما نعتقده من إشعاعات العقدة السياسية التاريخية فالضيف أجنبي ولا بد انه لايستسيغ إلاّ ما كان أجنبيا، أو هو نوع من الشعور بالصغارة إزاء الدولة الفارسية المهيمنة، لكن ادموندز ألحّ عليهم برغبته، يرجوهم ان يسمع نماذج من الغناء الكُردي. ونعتقد ان القرية المخربة تلك لم تستطع ان تسعف مطلب ادموندز فقد جيء له بمطرب يصفه ادموندز انه لم يكن يملك الموهبة الغنائية فراح يزعق زعيقاً مفعماً بالحماسة، وقد بدت الأغنية لادموندز مملة رتيبة وكل مصراع منها لايزيد عن ترجيع للجملة القصيرة الى نهاية اللحن الذي ينتهي عادة بآهة عميقة يصف ادموندز هذه العملية وكأنها عملية إخراج آخر دفقة من أنفاس المغني خارج جسمه (١٠٤).

لكن ادموندز من بعد يكتشف سحر الأغنية الكُردية ويصف الغزل والنسيب على طريق الينبوع، دفق من الأغاني ينساب عبر الوادي (كَوراني) والشمس تنحدر نحو المغيب ويرتفع القمر وتسحر أخاديد الصخور بأضوائه ويظل صدى الغزل بالحبيبة مسترسلاً (١٦٤).

الرقص

لقد ذكرنا في موقع آخر من هذا الكتاب زيارة المستر ريج لإحدى حفلات العرس ومشاهدته للرقص الشعبي الكُردي (الدبكة)، ولما كانت مشاهدة ريج تلك على علاقة صميمة بموضوعنا في هذا الفصل، سندرج نص ما ذكره ريج من إنطباع اذ يقول:

على اثر سماعي بحفلة عرس تقام في دار في ضواحي المدينة، عزمت على ان أكون احد المتفرجين فيها وتحاشياً من جلب الأنظار وضعنا أنا والمستر بَل عمامتين من الشال على رأسينا إخفاء لملابسنا وارتدينا عباءتين سوداوين فوقها وذهبنا بعد هذا التنكر ليلاً لمشاهدة الحفلة. وبعد مسير طويل وصلنا محل الحفلة وهو دار اعتيادية فاندمجنا بين جموع المتفرجين الكثيرين فوق سطح الدار وهو لايعلو عن الأرض أكثر من ستة أقدام. وكان فناء الدار وهو مسرح (العرس) يضم حشداً من الأكراد، من مختلف الطبقات والأعمار من فتى يلبس عمامة ذات عذبات ملونة الى وحشي مخيف في فروة من جلد الماعز وكان الكثير منهم يتماسك بالأيدي في رقصة تسمى الدبكة (جوبي) على دائرة غير متصلة المحيط وقد أشغلت ساحة الدار بكاملها تقريباً، والرقص عبارة عن هز الأبدان الى الأمام والخلف والمراوحة أولا بقدم واحدة ثم الأخرى وضرب الأرض أحيانا بالأقدام ضرباً قوياً.

وكانت أفراح قلوبهم تعبر عن نفسها بين الفينة والأخرى بصيحات صاخبة اما الذين لم

يرقصوا فقد ملأوا ما بقي من الساحة واحتشدوا فوق السطوح التي تحيط بفناء الدار من جهاته الأربع وجلس عدد آخر القرفصاء في وسط دائرة الرقص ومن بينهم الزمار والطبال وكان المحل مضاءً بثلاثة مشاعل ولكن الجموع لم تكن لتهتم بسحب الدخان والشرر المنبعثة من لهيب المشاعل. وكان الراقصون يرقصون منذ أكثر من ساعة قبل وصولنا إليهم وبعد ان تمتعوا برقصهم مدة نصف ساعة أخرى توقفت الموسيقى وانصرف الراقصون ليفسحوا المجال لغيرهم، وذلك بهجوم من صاحب الدار وبعض أصحابه وهم مسلحون بالعصي عليهم. وعلى اثر انفضاض الجماعة الأولى بهذه الطريقة وفراغ الدائرة منهم قفز الى وسط الساحة كردي ضخم اخذ يضحك الناس لبضعة دقائق بقفزاته المتنوعة وبعض ألعابه التي مارسها مستعيناً بمقمعة كبيرة كان يحملها، ثم بدأت الموسيقى تعزف ثانية لحن الدبكة (الجوبي) فتقدم رتل من ثلاثين امرأة تقريباً متماسكات الأيدي بخطى وئيدة رشيقة وهن على اتم ما يكون من التزين بالزراكش الذهبية واثواب الحرير الملونة، دون أي حجاب. لقد كان منظراً بديعاً حقاً، بل كان امراً جديداً بالنسبة لي، اذ لم أرَ حتى الآن النساء في الشرق -وخاصة السيدات منهن- مختلطات بالرجال بمثل هذه الحرية دون الالتجاء الى التحجب (٢٠١ - ٢٠٢).

وقد عبر لايارد عن سروره بمرأى (الدبكة) الكُردية وهو يشاهد جمعاً من الناس وقد ارتدوا ملابس مبهجة راقصين على شكل حلقة حول نبع ماء متدفق (٣٧٥).

نعتقد ان ريج وضعنا أمام صورة جميلة من صور الرقص الكُردي ولكنه في الحقيقة شاهد نوعاً واحداً من الرقص الكُردي على ما يبدو. وهذه الرقصة التي شاهدها هي الرقصة الشائعة في منطقة السوران مما جعلها تكاد تكون الوحيدة في حين ان الكُرد يحتفظون بأنواع عديدة من الرقص الشعبي البعض منه معقد وليس من السهل تعلمه الا من الصغر.

لقد جاء توما بوا بأسماء بعض الرقصات الكُردية وليس كلها "المشهورة" في منطقة كُردستان الشمالية ومن هذه الرقصات:

أميدي، بوتاني، سَر هَدي، روهايي، ديركي، سويركي، شيخاني، سيبي يي، جوا ربي يي، كراني، خرفاني، ملاني، ايشوكي، بيلوته، جوبي، بيري يي*، تَمزاره. رَشبَلَك، وهي الرقصة المختلطة من النساء والرجال وهناك رقصات لم يذكرها توما بوا بالرغم من شيوعها مثل:

سنجاني، داوَتا تلا، داوَتاملا، هَري كولي.

هذا غيض من فيض وهناك العشرات من هذه الرقصات والتي أشرنا في موقع آخر من هذا

* بيري أو بيريفان: مفردة تقال للفتاة الذاهبة أو العائدة من حلب الغنم عندما يقترب القطيع من القرية وبيدها إناء خاص وشائع في كردستان لهذا الغرض يسمى مَنجَلوك.

الكتاب الى احتمال كونها جزءً من الطقوس الدينية كلها أو بعضها قبل الإسلام لكنها تحولت بعد الإسلام الى تراث شعبي. ان ما يدفعنا الى هذا الاعتقاد هو ان بعض الحركات المعقدة والمحسوبة لايمكن ان تكون اعتباطية وهنا يجب ان لاننسى ان الرقص كان جزءاً من طقوس العبادة لدى شعوب كثيرة بعضها انقرض، فلقد عرف الرقص الديني أو التعبدي لدى الفراعنة والسومريين والشعوب الهندو أوربية ولم يزل الرقص في معابد الهندوس يمثل جزءاً من طقوسهم الدينية.

ويصف توما بوا، الشخص الذي يقود الجماعة، أي اول شخص من الاتجاه الذي تسير نحوه (الدبكة) أو الرقصة بـ(سَرجوبي كيش) وكذلك يسمى بـ(سَري بَرجَمكي) ويضيف ان ميلنكن -الذي زار كُردستان تركيا في ١٨٧٠- يصف إنطباعاته وهو يشاهد رقصة كردية بأنها حركة رائعة عندما يكون الراقصون جميعاً في الحلقة على نسق واحد تصاحبهم الموسيقى. وهذه الحركة تشبه تموج سنابل الحنطة عندما تهب عليها نسمة ريح خفيفة (٧١).

ويذكر ويلسون ان الرقص الكُردي - على أي حال لابدّ وان يكون ناشطاً وحماسياً مثل الرقص السكوتلاندي. ان الكُرد وسكان الجبال من غير الكُرد يرقصون على شكل سلسلة بما يشبه ما يشاهد في عموم البلقان فالراقصون يتماسكون بالاصابع* وتجد نافخ المزمار وقارع الطبل في الوسط، والرقص يتضمن حركات بالاقدام جميلة ومعقدة والحلقة تتحرك ببطء وتجد صغاراً أو يافعين يرقصون داخل الحلقة. وعند الكُرد يرقص الرجال منفصلين عن النساء ولكن عند المسيحيين تجد ان الجنسين يرقصان معاً ولكن هذا لايعني ان النساء الكُرديات معزولات (٢٩٠).

والحقيقة فاتت ويلسون مسألة وهي ان الرقص المختلط موجود عند الكُرد المسلمين ولكن ليس كل الرقصات اذ تبقى العنيفة منها من حصة الرجال غالباً ونفس الحال نجده عند المسيحيين.

وقد وصف ادموندز الرقص الكُردي، على الرغم من إعترافه بعدم اطلاعه على الموسيقى والرقص عموماً بالقدر الذي يكفي لاعطاء وصف دقيق لرقص (الجوبي) لكنه يرى، ان الشبه كبير بين ما رآه من رقص (الجوبي) في السليمانية والأجزاء الأخرى من كُردستان. ثم يذكر ان فنون هذا الرقص تسمى بأسماء معينة ولكنه يوضح عدم قدرته على معرفة الفرق أو الاختلاف الأساسي بين رقصة وأخرى، وهو يتساءل ما اذا كان الفرق في الخطوة أو في الألحان الإيقاعية أو في عبارة الأغنية المصاحبة، لكنه يتوصل الى ما يشبه التعميم ان معظم الرقصات تتفق في ان الراقصين يؤلفون خطاً مستقيماً ويسبلون أذرعهم الى اجنابهم ثم يتماسكون بالأيدي،

* بعض الرقصات يتماسك فيها الراقصون بالأصبع وليس بالكف.

الكف بالكف على مستوى الكفل ويؤدي موسيقى الرقص نافخان أو أكثر بالمزمار (الزورنا) ويستمر الرقص ما طاب للراقصين وينظم الى الجوق قارعو الطبول والراقص الذي هو في اقصى اليمين هو القائد ويلوح بمنديل في يده، وعنصر الرقص الجوهري سلسلة متتابعة من الخطى تحدث في خط الراقصين ميلاً الى امام وخلف والى الجانبين وقد ينظم الى الراقصين أشخاص جدد أو ينفصلون عنهم عندما يتعبون دون ان يدب الخلل في اللوحة الراقصة. ويذكر ادموندز أنواعا من الرقصات الكُردية ورد بعضها فيما ذكرناه من أسماء الرقصات آنفا (٨٢).

اما برانت الذي يتحدث هنا عن الأكراد المسيحيين في المنطقة التي زارها فيذكر ان حب البهجة والفرح من قبل هؤلاء الناس هو دافع أقوى للإجتماع والاحتفال واللقاء بالناس أقوى منه الى الدافع الديني*، ويبدو ان الرقص هو المتعة الرئيسية للنساء اللاتي شكلن حلقات مختلفة للدبكة بخطوات حادة في رقص دائري مع أنغام الطبل والمزمار التي كانت تشق هدوء الوديان بأصدائها العالية (١٢٧).

وقد لاحظ برانت ما لاحظه الآخرون من الرحالة، فقد تتخلل الرقصة الكُردية (الدبكة) فعاليات للتسلية كان يقوم بها أحد المهرجين اذ كان يجلب معه دباً للقيام ببعض الحركات المسلية (١٢٨).

وكذلك لوحظ ان البعض يرتدون فروات وجلود الحيوانات كالماعز والدببة ويقلدون حركاتها لإضفاء أجواء من المرح على الحفل الراقص وقد وردت هذه الملاحظة في عدة مصادر من مصادر كتابنا هذا.

الصيد

من الملاحظات المبكرة للرحالة والمستشرقين عن الصيد في كُردستان ما كتبه المستر ريج في مذكراته، فهو يصف باشا العمادية (أي أمير امارة بادينان) عندما كان يخرج إلى الصيد يغير ملابسه في منطقة الصيد قرب العمادية بملابس الجبليين من العوام، يتسلق بها المرتفعات وينبطح أرضا في انتظار ظهور الماعز الجبلي مانعاً نفسه عن رمي ما قل عمره عن أربع سنوات اذ يعرف الخبراء أعمار هذا الماعز، من بعد، من قرونها. وهذا النوع من الصيد، والصيد بالشراك والفخاخ وبالرمي وصيد الحجل بالباز، هي الرياضة الوحيدة في منطقة

* نعتقد أن كلمة (أقوى) الثانية زائدة وحيث لم يستطع المؤلف الحصول على النسخة الإنكليزية وهي من مقتنيات مكتبة الآثار لفقدانها، فقد ترك عبارة المترجم على ما هي عليه كي يستقيم المعنى لغوياً ولكنه يخشى أن يتقاطع ذلك مع ما يريده برانت من معنى.

العمادية لكونها جبلية اذ لايمكن مزاولة القنص فيها على ظهور الجياد، هكذا يذكر لنا ريج صورة من صور الصيد في كُردستان في مطلع القرن التاسع عشر في إمارة بادينان في العمادية (١٠٨).

ومن قصص الصيد الطريفة في كُردستان ما ذكره باسيل نيكتين اذ يذكر ان شجاعة الكُردي واستبساله يظهران أيضا في صيد الحيوانات، فنادراً ما تخطيء رصاصته الوعل في الجبال. وينقل نيكتين ما رواه له الكُرد عن قصة صياد انقذ ذات يوم دباً كان قد فاجأه فهد وكاد ان يتغلب عليه وحفظ الدب المعروف للكردي وتعلق به وصاحَبه، ويعلق باسيل نيكتين بجملة اعتراضية -وكما جاء في أقاصيص لافونتين- فقد انتهت القصة بأن قتل الدب صديقه اذ رماه بحجر كبير ليكش عن وجهه الذباب (٧١).

يصف توما بوا شخصية الكُردي في حبه للفضاء الرحب وهو يبحث عن مسراته في الخارج وتأتي هواية الصيد في المقدمة ويشيد بوا بمهارة الكُردي في الصيد، فهو صياد ماهر ورام حاذق والصيد هوايته المفضلة وهو يدعو ضيوفه الى حفلة صيد، فكُردستان تزخر بالطرائد من كل نوع من الحيوانات الشرسة، مثل الدب والذئب والضبع والثعلب والخنزير البري.

وقديماً وحتى القرن الماضي كانوا يطاردون الأسد أيضا ويصطادونه ولكن على ما يبدو فقد انقرض هذا الحيوان من المنطقة، ويعتمد توما بوا على وجود الأسد في كُردستان من خلال وجود هذه الحيوانات في الروايات الكُردية فالأسد وجد في كُردستان واصطيد اذا ما صحت الروايات كما يذكر بوا أما اليوم فقد اختفت من المنطقة. ويشير الى ان الكُرد يتعقبون الأرنب البري والوعل من اجل اللحم.

ويركز على منطقة كُردستان العراق وربما قد زار ضفاف نهر سيروان أو قد تسنت له فرصة مشاهدة الصيد في تلك المنطقة اذ يذكر ان القنائص المتنوعة من الطيور تصطاد هناك كالشنقب وطير السمان والحجل والدراج والبط البري.

والحجل (كَو) طائر شائع ومعروف في كُردستان وهو مرغوب جداً وهناك طرق عديدة لاقتناصه. والحجل اما يذبح لغرض الأكل أو يدجن ويمكن اصطياده بسهولة في موسم الثلج عندما يخرج هذا الطائر بحثاً عن شيء يأكله اذ يمكن الإمساك به باليد حيث يكون واهناً بسبب الجوع كما توجد مصائد خاصة لاقتناصه وقت الربيع.

ويستخدم الكُرد الكلاب السلوقية وكذلك كلاب الرعاة الضخمة في الصيد وكذلك تدرب الصقور على الصيد و (الشاهين) أو الباز يكون سعره مرتفعاً عادة.

ويحدثنا توما بوا عن صياد كردي من دمشق (حسين ابش) ذاع صيته في هواية الصيد

فقد بدأ بصيد الغزلان في سوريا عام ١٩٠٠ ثم سافر الى السودان بعد عشر سنوات ليصطاد هناك الجاموس والأسد ووحيد القرن والفهد ثم سافر من بعد الى أوغندة والكونغو والهند واستطاع ان يصطاد نموراً وفيلة وغزلان ونعام في افريقيا. وله قصر في دمشق مزدان بالكثير من شواهد الصيد مما يجعل من داره متحفاً شاملاً للحيوانات الغريبة، والسمك أيضا يقع ضمن مطامع الصياد الكُردي فالكُرد يصطادون في الفرات ودجلة والخابور والزابين والروافد المتعددة في كُردستان.

ولاينسى توما بوا ان يحدثنا عن قصة طريفة في صيد أحد الأسود في زمن الأمير بدرخان أمير بوتان في أواسط القرن التاسع عشر وهذا مما يدلل على وجود هذا الحيوان في منطقة كُردستان (٨٦-٨٩).

وقد ذكر لنا فريزر مشهداً من مشاهد الصيد في كُردستان وفي قرية بائسة تسمى جان ريز على بعد أميال من الممر الصخري لجبل. وقرية جان ريز هذه كان يسكن فيها سليم آغا رئيس أكراد الدلو وهم من فروع البابوات في السليمانية وعندما اشرف ريز وجماعته على القرية ولاحظوا وجود رماح وخيول مسرجة ثم عند وصولهم القرية وجد ان (البك) كان يعد العدة للخروج الى الصيد لانه كان محاطاً برجال الحاشية المجهزين للركوب والذين كانوا يمسكون عدداً من كلاب الصيد بأربطتها ويحملون فوق قبضات أيديهم الصقور الملفوفة رؤوسها بالغماء (٥٠).

اما هاملتون فتحدث بإيجاز عن الصيادين الكُرد مبدياً إنطباعه فيذكر، ان الصيادين الكُرد المحترفين قليلو الكلام حتى فيما بينهم وهم كما يذكر يشبهون تماماً رعاة الجبال في سكوتلاندا ويعقب ان هناك اوجه شبه كثيرة بين الكُرد والآثوريين من جهة وبين الاسكتلنديين من جهة أخرى (١٩٦).

والكُرد من وجهة نظره صيادون مهرة لايشق لهم غبار لاسيّما سكان الجبال ولا منافس لهم غير الإنكليز والاثوريين وعن طقوس الصيد ذكر هاملتون ان توجيه الدعوة الى الصيد يعد اعظم شرف وتكريم يقدمه الشيخ لضيفه ومن الغباء رفضها.

ان هاملتون كان يشعر بمتعة بالغة في الحديث للتهيئة للصيد. ويهيء الشيخ للضيوف مأدبة وهو يقصد بالشيخ هنا (مير محمود اغا) وقد استعد لحفلة الصيد هذه ثلاثون صياداً من اتباع الشيخ.

لقد لاحظ هاملتون ان ما من مناسبة اجدى للوصول الى تفاهم بين الخصوم واحلال الصداقة محل العداء مثل هذه المناسبة ويستغرب كيف ان هؤلاء القبليين قبل مجيء الإنكليز كانوا

ينعتون بقبائل الامبراطورية العثمانية المتوحشة فلايفكر موظف عثماني بالخروج معهم وحيداً للصيد (١٩٢-١٩٣).

أما هَيْ فقد أشار بإيجاز الى الصيد في كُردستان لاسيّما الصيد باستخدام كلاب الصيد، وقد شاهد هَيْ في منطقة سهول أربيل صيد الأرانب والغزلان والوعل والخنزير، وقلة من القوم آنذاك كانوا يملكون البنادق (٨٣).

الفروسية والألعاب

يحدثنا مستر ريج عن الالعاب التي شاهدها في مدينة السليمانية سواء الالعاب الرياضية ام العاب التسلية وهو يصف الكُرد بأنهم قوم رياضيون متحمسون لسباق الخيل وعراك الحجل والكباش والكلاب (٧٢).

وتقام الاحتفالات الرياضية عند الكُرد واحياناً احتفاءً بالضيف اذ يذكر ريج ان أمير بابان اقترح في احد الأيام اقامة حفلة استعراض خيل على اثر رجوع أكثرها من المراعي واعتذر ريج لان النية كانت منصرفة لاقامة استعراض في اشد ساعات النهار حرارة فارجيء الاستعراض ولم يكن يتصور ان الغرض من الاستعراض كان لتسليته أي تسلية ريج وهو يشير انه لو علم ذلك لحضر الاحتفال أي لما جعله يؤجل الى حين آخر (٩٤). والمهم في هذا الموضوع ان استعراض الخيول كان نوعاً من أنواع الاحتفالات الكُردية التي يعبر من خلالها الاحتفاء بالضيف وهذا ما جرى ايضاً لدى زيارة ريج لرئيس عشيرة الجاف كيخسرو بك اذ يذكر ان البكوات الشبان أي أبناء كبار الجاف اقاموا مباراة جريد في حضور زوجة ريج وقد اظهروا مهاراتهم في تلك المباريات (١٣٣).

والكُرد من وجهة نظر ريج فرسان شجعان ولكنهم يجهلون اصول الفروسية اذ يندفعون بخيلهم -كما يذكر- على اية ارض وباية سرعة كانت وهم يستديرون وينعطفون بخيلهم دون رحمة أو شفقة. وهم يقومون بكل هذه الحركات بخشونة وبقوة وبالالتصاق على ظهور الخيل وحسب (٢٢٥).

لاشك ان ريج عندما يقوم الفروسية الكُردية فهو يقومها بمعايير معينة سماها (اصول الفروسية) ولاشك فان هواية ركوب الخيل في بريطانيا تعد من الهوايات المتأصلة ولها نواديها ومبارياتها ومدربوها وساحاتها الخاصة وفنون العابها اما بالنسبة للكرد فشأنهم شأن اقوام الشرق كالقوقاز والعرب والفرس والترك في تعاملهم مع الخيل.

والحق يقال فان الكُرد لم يشتهروا بتربية الخيول ومتابعة انسالها مثلما هم العرب، هذا من

ناحية الشهرة الحاضرة أو الممتدة الى التاريخ غير البعيد، اما على مستوى التاريخ البعيد فنجد ان هناك من الاشارات الواردة في بعض الدراسات التاريخية التي لاتؤصل الخيل عربياً بل لم يفد الحصان الى بلاد العرب الا منذ مدة غير بعيدة في المقاسات التاريخية، فهذا البروفيسور فيليب حتي استاذ التاريخ العربي في جامعة كولومبيا عام ١٩١٥ ومن ثم في جامعة هارفارد قد اورد في كتابه ذائع الصيت والمترجم عن الإنكليزية الى لغات عديدة، انه بالرغم من اشتهار الخيل في الادب الإسلامي فان تاريخ دخولها الى الجزيرة العربية كان متأخراً. فلئن عرفت نجد بجيادها الكريمة فان الشعوب السامية الأولى لم تعرف الخيل ويرجع الفضل في تدجينها الى الشعوب الآرية. والرعاة من القبائل الهندوأوربية هم اول من دجن الخيل وادخل الحصان قبل العصر المسيحي من سوريا الى الجزيرة العربية، وقد انكر الجغرافي اليوناني سترابو وجود الحصان في الجزيرة العربية واعتمد على ما رواه صديقه اليوس كالوس القائد الروماني الذي غزا الجزيرة عام ٢٤ ق.م. (٤٨).

ومن ملاحظات ريج عن علاقة الكُردي بالخيل انه يفضل الجواد العزوم الشرس، اذ يعتقد ان ذلك مما يظهر المهارة والشجاعة في فارسه، ولهذا فان ريج ينصحك اذا اردت ان تركب جواداً ركوباً مريحاً فسر وراء عربي أو تركي يركب جواده اما ان تسير بجوادك وراء كردي يركب جواده فلن تحظى بركوب هادىء مريح (٢٢٦).

على ان ما تقدم مسألة إنطباعات شخصية فهذا ماليبارد الذي زار كُردستان ومدينة السليمانية بالذات بعد زيارة ريج لها بأكثر من قرن وثلث القرن يصف الفارس الكُردي وهو على صهوة جواده يملأ، الجو عظمة واعتزازاً (٢٢٦).

ويذكر ماليبارد ايضاً انه التقى بنفر من الفرسان الأكراد يمتطون خيولهم الجبلية على مقربة من بعض القرى الريفية ويعبر عن إعجابه بركوبهم الخيل الذي لايقل اجادة عن ركوب العرب لها... ويذكر انه كان حريصاً لان يغتنم كل دقيقة تمر ليتمتع بمنظر الخيالة الكُرد وهم يندفعون بخيولهم بمحاذاة السيارة التي كانت تقل ماليبارد (١١٧).

والكُرد في ضوء ملاحظات ريج يعتنون بخيولهم بالغ العناية وهنالك الكثير من رجال الكُرد الذين يسوسون جيادهم بايديهم ولايستبعد ان يعلفوها العلف الكثير ويدفئوها الدفء الجيد الامر الذي يجعلها اقل تحملاً للمشاق.

وأيام مكوثه في السليمانية لاحظ ريج ان الرغبة كانت متفشية بين الكُرد لاقتناء الجياد العربية وهم يدفعون اموالاً وافرة دون مبالاة ثمناً للخيول غير المعروفة الاصل، وهذه الرغبة حسب تحليل ريج اخذت تقضي على تشجيع توليد وتربية الخيول الكُردية الاصيلة التي يعدها ريج من احسن الجياد واقواها احتمالاً للمشاق، واقدرها على اداء الخدمات الفروسية الباهرة.

ويعـقب ريج على مـلاحظاته هذه بشيء من الأسف لان هذه الحـالة ادت الى ان تندرس هذه الجياد الكُردية الاصلية واستعيض عنها بالجياد الهجينة المستوردة من بغداد ومن البلاد المنخفضة وقد لاحظ ان الخيول العربية لاتتناسل في كُردستان الا نادراً (٢٢٦). ومن وجهة نظرنا تبدو هذه المشكلة "سياسية" وقد يبدو هذا التعليل غريباً للقارئ. لقد اخذت الخيول الكُردية الى بغداد والجزيرة العربية اما شراءً أو اغتناماً، شأنها شأن اية غنيمة أخرى ولقد هجنت هذه الخيول جيلاً بعد جيل حتى اصبحت الفرس الكُردية غير المهجنة من المخلوقات النادرة في المنطقة العربية اما في كُردستان فقد خوت أو كادت ان تخوى من هذه الحيوانات لانها اصبحت وسيلة حربية لايمتلكها غير العربي حتى بعد دخوله الإسلام، فقد مرت المناطق غير العربية والتي اسلم اهلها بانظمة جردتهم من حق ركوب الخيل حتى في القتال مع اخوتهم في الدين (العرب) وكان على المسلم غير العربي ان يقاتل راجلاً (راجع الطبري الجزء الثاني ١٩٢٠ وكذلك فان فلوتن – السيادة العربية في عهد بني أمية (٣٨) وكذلك كتاب الاغاني الجزء الخامس (١٥٥)).

وكان في ذلك خروجاً على روح الإسلام وتعاليم النبي (ص) والخلفاء الراشدين. ثم عاد الكُرد يستوردون الخيول العربية ولكن عملية التلقيح بين هذه الخيول المهجنة المستوردة اصبحت صعبة اذ حسب علمنا ان فصائلاً من الخيول الذكور لاتلقح فرساً هجيناً ليس من صنفها وليس بنقائها، فما كل غيداء سعدى وما كل هيفاء ليلى وجميل اعرف ببثينته. وحتى الفرس الكُردية النقية تتمنع على حصان هجين تشعر بلانقاوته، هذه حالات سمعتها وتعرفتها من ذوي الخبرة، واذا ما حدث التناسل فيحدث بالاكراه أي بتدخل اليد البشرية.

وعندما سافر ريج الى قزلجة والتي كانت لواءً (محافظة) من الوية الامبراطورية العثمانية فقد اجري لمستر ريج استعراض بعد مراسيم الاستقبال الرسمي من قبل ممثلي أمير بابان.اذ يذكر عند وصولهم ارضاً منبسطة بدأت مباراة الجريد والمراشقة بالرماح، ويؤكد ريج ان الكُرد جميعاً فرسان جريئون ان لم يكونوا فرساناً اصليين، وسبق ان علقنا على رأي ريج في هذا المجال.

ويصف ريج لعبة المراشقة هذه اذ كان ينفخ في المزامير وتضرب الطبول أثناء المراشقة مما كان يجعل المشهد جميلاً مبهجاً (١١٩).

وكذلك يحدثنا ريج عن لعبة كردية شهدها في (أحمد كلوان) بدت له خطرة فوصفها انها لعبة قد تخلع اطراف أي رجل الا اذا كان كردياً قوياً. واللعبة كما جاءت في مذكرات ريج هي ان يجلس احد الرجال على الارض بعد ان يربط باحدى ساقيه حبل يمسك بطرفه السائب رهط من اللاعبين، فيجرون به الرجل ويسحبونه على الارض الحجرية الوعرة ويدورون به كما يدور

نوتية الباخرة ببكرة المرساة ويربط باحد اطرافه الأخرى حبل يمسكه من نهايته السائبة ايضاً رجل آخر بمنزلة الحامي له، يمنع الرهط من سحبه وجره بالسعي للقبض على واحد من المهاجمين دون ان يسيب الحبل من يده ومتى ما قبض على احدهم وجب على هذا ان يأخذ دوره في القعود ليهاجم، وكان يصحب هذه الحركة صراخ وصياح وقفز (١٢١).

ويبدو ان المصارعة كانت من الرياضات المعروفة في كُردستان وتقام لها حفلات اذ يتحدث ريج عن قيام أمير بابان باعداد حفلة مصارعة تجري في دار ريج نفسه والغرض منها تسليه الضيف لان الباشا نفسه كان لايستسيغ المصارعة ولايحضرها كما ذكر لريج ولكنه كان يريد السلوى لضيفه. ولما لم يكن في دار ريج فسحة كافية لمثل هذا الحفل فقد اقيمت في مكان آخر وحضرها ريج وقد جرت في ساحة مكتظة بالجمهور ويصف ريج مدى الاقبال على الاحتفال إذ اعتلى بعض المشاهدين الجدران، اذ سمح للجميع بمشاهدة المباراة وكما يذكر ريج فقد تصارع بعض المتبارين على الطريقة القروية دون المام كبير باصول المصارعة ولكن الجمهور كان قد سر لما رأى، وكان عثمان بك شقيق الأمير حاضراً وأكثر الناس سروراً بما يرى.

كما شاهد في اليوم نفسه في داره رياضة لعبة السيف. ويخرج المستر ريج بإنطباع، ان الأكراد أشد الرياضيين الذين عرفهم عزماً سواء كانوا صغاراً ام كباراً، شباباً ام شيوخاً، والرياضة هواية الشعب المستحبة لديهم (٨٩).

وقد يبدو عجيباً ان نسمع بنادٍ رياضي في مطلع القرن التاسع عشر في السليمانية ولكنها حقيقة. وهي ما تسمى بـ(الزورخانة) فقد زار ريج (زورخانة) عثمان بك (٨٦).

كما وانه شاهد رياضة الرماية فقد ذهب ريج مع الباشا لمشاهدة سباق الرماية وعلى ما يذكر فان ميدان الرماية كان يبعد عن البلدة مسافة ميلٍ ونصف الميل على طريق ازمر وقد جلس مستر ريج تحت شمسية مع الباشا وصار يشاهد الرمي وكان شقيق الباشا عثمان بك احسن الهدافين اذ يصفه ريج كان احسن الرماة بالبندقيات الثقيلة وقد رمى كذلك كثيرون غيره رمياً صائباً (٨٤) وفي اليوم التالي عندما التقى المستر ريج عثمان بك اشاد بمهارته في الرمي وابدى عثمان بك كل الرغبة في ان يعلمه ريج المبارزة بالسيف ورمي الهدف بالمسدس ويعقب ريج ان هذا ما يجهله الشرقيون (٨٤).

على الرغم من مشاهدة ريج لحفلة السيوف التي أقيمت له في بيت الباشا في إحدى الأمسيات ولكنه لم يبد إعجاباً بها (٩٥).

ويشير ريج الى لعبة أخرى شاهدها وهي قطع اللباد الرطب بالسيف، اذ يذكر ان رزمة من اللبد ذات اربعين طية بعد نقعها بالماء قد علقت بحبل.

وهنا لابد من توضيح كلمة (لباد) في كُردستان، هو بساط سميك جداً مصنوع من الصوف الخالص المضغوط وقد يبلغ سمكه نصف انج أو أكثر وهو نسيج شديد التماسك ومن غير السهل قطعه بالسكين الاعتيادي وهو من الفرش المستخدم في المضايف والتي قد توضع عليها المطارح. وكذلك يستخدم اللباد معطفاً للرعاه يستفيد منه الراعي في الأيام الماطرة والمثلجة لانه لايسرب ماء المطر من شدة ضغط وسمك نسيجه ويقيه من البرد.

نعود الى ريج ليحدثنا عن هذه الرياضة، فقد صال عثمان بك الصولة الأولى وبضربة سهلة شطر الرزمة شطرين (اربعين طية!) فاعقبه حسن بك وهو شاب انيس فقصم الرزمة ايضاً، ثم جاء عزيز آغا فنجح ايضاً كقرينه ثم علقوا رزمة أخرى ففشل عثمان بك في ضربته وان لم يبق من طيات اللباد الا على اثنتين أو ثلاث، وفشل الاخرون ايضاً.

ويذكر ريج انه سئل اذا لم تكن هذه الطريقة افضل من الطريقة التي يتبعها البريطانيون، ونعتقد ان ريج هنا يقصد المبارزة، أي ان السائل كان يريد ان يعرف ما اذا كانت اللعبة اشد قوة من المبارزة هذا ما نفهمه من طبيعة اجابة ريج على السؤال اذ ان ريج اجاب، انها طريقة لا بأس بها لو استكان الغريم لقطع اوصاله كما تستكن رزمة اللبد، وقد اراه كيف انه اذا اخطأ الضربة يمسي تحت رحمة خصمه الذي يعرف كيف يستعمل سلاحه كما هو المتبع في اسلوبهم أي الاسلوب البريطاني ويعقب ريج ان السائل أي عثمان بك اقتنع اخيراً بأن ما قاله هو الحقيقة الا ان عزيز آغا لم يقتنع بذلك (٩٢).

ولاتفوت ريج أنواع من الالعاب والمسابقات التي تجري على الحيوانات، ومن هذه الالعاب عراك الحجل والحجل طائر شائع في كُردستان ويسمى (كَو) بالكُردية واما في العامية العربية فيسمى (قبج) ولانعرف مصدر هذه الكلمة.

ويبدي ريج إعجابه بكفاية هذه الطيور الصغيرة وجرأتها وذكائها ثم يذكر ان ما تنشده هذه الطيور في العراك هو مسك غرمائها من رقابها مسكة قوية ثم الطيران بها وبطحها على الارض وتؤلف هذه المداورة -المناورة- متعة العراك (٨١).

ويحدثنا ريج عن (حفلة) لمعارك هذا الطائر اقيمت في داره اقامتها له احدى الشخصيات البارزة في السليمانية آنذاك، اذ يذكر ان جماعة من الأكراد تقدمت تحمل على اكتافها اثنين وثلاثين قفصاً في كل قفص حجل فحل، وقد اثارت كتكتة هذه الطيور الاجماعية المتواصلة ضجة غريبة اشبه باصوات دقات الف ساعة جسيمة ولم يخلدوا الى الصمت لحظة الا عند العراك. واعقب الاقفاص جماعة من المتهوسين وكلهم شوق لمشاهدة المنظر. ثم صفت الاقفاص على شكل دائرة ووقف المشاهدون من ورائها ويتأسف ريج انه لم يستطع رسم المنظر لانه كان بديعاً ولكنه كان بحاجة الى رؤيته عدة مرات لكي يستطيع رسمه ثم يصف (المعركة) عندما

فتح احد المعاونين باب احد الاقفاص واطلق احد الطيور فانتفض هذا في الهواء كالمتحدي ثم شرع يتبختر في انتظار غريمه وبعد ان افرج عن الطير الثاني بدأ العراك وكان المنظر مؤنساً ولم يكن فيه اي قسوة مطلقاً وكان من المبهج جداً، كما يعبر ريج، رؤية هذه الطيور الصغيرة تتبختر على رؤوس اصابعها متحدية تقفز وتنقر بعضها البعض وتتحامل لتنال ممسكاً ملائماً وتتحاذر من الوقوع بما لاتريد وان البراعة كلها كانت في نوال الغريم من قفا رقبته فاذا ما نال الطير غريمه على ذلك النحو تمسك به وقد يدور به احياناً مرتين أو ثلاث مرات حول الدائرة وقد يرتاع احد الغريمين احياناً فيهرب خارج ساحة العراك وعندئذ ترجح الكفة وينتهي العراك اما الطير المغلوب فلايعود ميالاً الى عراك اخر قبل مضي شهرين أو ثلاثة اشهر. ولكل طير من الطيور اسمه اما اجنحتها فلاتقص وهي طيور مروضة تعود الى اقفاصها من تلقاء نفسها (٦٥).

ومن سباقات الحيوانات يذكر المستر ريج مشاهدته لعراك الكلاب الطريف وهو يصف الفرح الشديد الذي كان ينتاب المشاهدين وهم يشجعون ويصرخون ويتراوحون بأرجلهم وقد ملأوا المكان بالضجيج. وكما يذكر ريج فقد كان احد الكلاب يعود الى صديقه محمود معروف ما ان علم بوجود كلب شهير في كوي سنجاق* حتى ارسل احد الرجال خصيصاً الى هناك في طلبه كي ينازله مع احد الكلاب في السليمانية (٧١).

اما توما بوا فيضعنا امام عدد من الالعاب الشعبية التي كان يمارسها الكُرد ومنها لعبة الجريد وهو نوع من جعل الخيل تلعب في مناسبات الزفاف أو الابتهاجات الشعبية ولعبة أخرى اسمها (تَكَله) وهي نوع من التمرين على جواد سريع اذ تختار ارض منبسطة بقدر الامكان ويجري الفرسان واحداً تلو الاخر باقصى سرعة وعندما يصلون الى المكان المعين يرمون على الارض امام الجواد عصا طويلة يقرب طولها من المتر، فاذا القيت بمهارة فان العصا ترتد في الهواء وحذاقة الفارس تكمن في جعل عصاه ترتد بطريقة بحيث يكون قادراً على المرور من تحتها أو امساكها باحدى يديه.

ولعبة كردية أخرى اسمها جوكان وكانت من الالعاب المفضلة لصلاح الدين الايوبي اذ كان مولعاً بها ويتمرن عليها بسرور في المكان المعد خصيصاً لهذا الغرض في دمشق على ضفاف نهر بردى.

اما المصارعة (زوران) فلها عشاقها من الكُرد. وإحدى الألعاب الأكثر شعبية هي هول التي تطابق لعبة الهوكي حالياً.

* كوي: مدينة كردية تابعة إدارياً الى محافظة أربيل في كردستان العراق.

ويذكر توما بوا ما سبق وان ذكرناه عن العاب الحجل وكذلك الديكة ومعارك الكباش والوعول.

وللرعاة الصغار أيضا مسراتهم ولهوهم اذ يذكر عرب شمو لعبة زيزي أي العصا الصغيرة والسباق والكرة والنبلة، بالإضافة الى الألعاب التي تشبه العاب الأوربيين الصغار مثل القفز أو قافلة الملح ولعبة السيف أو لعبة الاستغماء ولعبة الدعبل والعاب المطاردة.

وينصرف الرجال الى لهو أكثر جدية مثل الورق والزار وكذلك لعبة النرد التي تمارس في المقاهي اما الشطرنج فهي اللعبة الأصلية التي يمارسها المثقفون وهي جزء من الثقافة الجيدة لبعض الاغوات وكان صلاح الدين الايوبي يحب هذه اللعبة كثيراً ويقضي أمسياته في ممارستها.

وعن اول مسرح كردي عام يتحدث توما بوا فقد أسس في عام ١٩٣٤ في يريفان عاصمة ارمينا وفي مهاباد* وفي السليمانية كانت هناك محاولات مدرسية وحتى حين الثورة الكُردية في مهاباد (١٩٤٥ - ١٩٤٦) .فقد مثل الشباب بعض المسرحيات الوطنية (٨٤ - ٨٥).

اما هَيْ فقد شهد الكُرد يلعبون لعبة تشبه لعبة الهوكي Hockey بعصا معقوفة وقطعة من خشب تقوم مقام الكرة، والحقيقة فأن هذه اللعبة التي شاهدها هَيْ تسمى (كاشوانى).

اما القمار على ما يذكر هَيْ فهو نادر في الريف الكُردي على ان ثمة لعبات بالورق شائعة، ولدى الأطفال لعبة معقدة أيضا جاءت في وصف هَيْ ويعدها لعبة معقدة اذ يدحرجون فيها الحصى الى ثقوب صغيرة في الأرض أيضا (٨٣). والحقيقة نحن نعتقد ان هذه اللعبة هي شبيهة بلعبة الكولف Golf المعروفة والتي يلعبها الكبار في أوربا.

بعد ما تقدم في هذا الفصل لابدّ من الخروج بنتيجة ربما شاركني فيها القاريء الكريم.

يتبين لنا من إنطباعات ومشاهدات المستشرقين والرحالة ان الشعب الكُردي شعب فرح بطبعه يعشق الغناء ويحب الرقص لا بل نرى من الرقص والغناء لدى الكُرد الرئتين اللتين يتنفس من خلالهما عبر تاريخه المؤلم المرير. انه يبدو لنا شعب (زوربوي)** ان جاز التعبير، يرقص على آلامه ويغني من شفتي جرحه ويداوى المأساة بالمرح وكذلك تبين لنا ان للكرد موسيقى خاصة بهم ولكن على ما يبدو فإن التخلف الثقافي ولاسباب سياسية معروفة اعاق تطور الموسيقى الكُردية وهي بالطبع جزء حيوي من ثقافة أو حضارة أي شعب. وقد اختلفت الإنطباعات كون الموسيقى الكُردية حزينة أو مفرحة. ونعتقد ان هذا الاختلاف لدى الرحالة

* عاصمة جمهورية كردستان التي تأسست عام ١٩٤٦ في كردستان إيران برئاسة القاضي محمد ولم تدم أكثر من سنة واحدة وشنق القاضي وذهب ضحية المصالح الأجنبية التي جعلت منه وسيلة إبتزاز...

** نسبة الى شخصية زوربا في الرواية الشهيرة (زوربا اليوناني).

والمستشرقين جاء باختلاف المكان والمناسبة، فللكرد موسيقاهم الحزينة مثلما لهم موسيقاهم المفرحة شأنهم في ذلك شأن الشعوب الأخرى.

ان الشعب الكُردي بالمفهوم العام يبدو لنا مديناً للقبيلة الكُردية حتى بعد استقرارها، فقد حفظت للكرد ملاحمهم الغنائية وتراثهم الفني والذي اهتم به بعض المثقفين الكُرد فجمعوا وسجلوا ونشروا الكثير من الاغاني والملاحم التي كانت في طريقها الى الاندثار مثلما اندرس الكثير منها عبر التاريخ ولعل المحاولات الأولى في هذا المجال هي محاولات الكتاب الكُرد في ارمينيا وكذلك المحاولات التي قام بها المثقفون الكُرد في سوريا وفي مقدمتهم الرائدان الثقافيان البروفيسور كامران بدرخان وجلادت بدرخان فقد اهتموا بموضوع التراث والادب الكُردي في الفسح (التاريخية) التي اغتنموها فأصدروا كتباً ومجلات حفظت للكرد الكثير من التراث المرشح للزوال، أي عملية توثيق التراث الشفاهي.

ولايمكن ان نغض الطرف عن الكم الهائل مما طبع في العراق من كتب ومجلات كان من بينها الكثير ممن عني بحفظ التراث الشفاهي وتوثيقه لاسيّما بعد عام ١٩٧٠.

وهنا تجدر الاشارة الى (داء) بدأ يستشري في الفن الكُردي وهو (الاقتباس) الموسيقي في الاغنية الكُردية فقد ظهر عدد كبير من الاغنيات (الحديثة!) الكُردية في السليمانية لو انك اهملت التركيز على كلماتها لوجدتها اغنية فارسية بحتة، وكذلك ظهر عدد كبير من الاغنيات (الحديثة) ايضاً في دهوك لو انك اهملت التدقيق في كلماتها لوجدتها اغنية تركية بحتة لا بل (تاتلسيه). وهذه جرثومة خطيرة في الفن الكُردي وسلامة هويته.

سيقول البعض، انهم هم الذين اخذوا عنا ومنا، وهذه اسطونة مشروخة نعرفها منذ النقاش حول سلامة اللغة الكُردية وتلوثها بمفردات غير كردية تحت تبرير انها في الاصل كانت لنا.

نعتقد ان العلم اليوم غير عاجز عن فرز ما لكل قوم من تراث أو مفردات والفرز هنا نسبي غير مطلق لكنه يتحول الى داء عندما لاتكون مقادير النسبية محكمة وعندما يختل ميزانها، وعندما تلعب الاهواء الشخصية في تبني مفردة ما وعندما تكون الاحكام فردية أو (بابوية) الطبع في اتخاذ القرار حول لسان امة أو فنها أو ادبها، وعلى طريقة (لاتسألوني عن المصادر).

اما الالعاب، فكما ظهر في هذا الفصل كثيرة ونحن لم نذكر كلها بل اكتفينا بما شاهده الرحالة وكتب عنها المستشرقون لاننا لم نود الخروج عن حدود الكتاب هذا وهدفه، والالعاب هذه قد وثقت، فقد صدرت كتب عدة في الآونة الأخيرة معنية بتوثيق الالعاب الكُردية خشية انقراضها أو حلول العاب غير كردية بديلة عنها. نحن لسنا ضد الجديد ففي هذا تخلف، ولكن الجديد يجب ان لايكون على حساب التليد ففي هذا خيانة للهوية القومية.

الطعام

لاشك ان الطعام لدى الأقوام يفصح عن طبيعتها ومستواها الحضاري والإقتصادي، ولم يغفل الرحالة الذين زاروا كُردستان عن وصف الطعام الكُردي، ولا بد هنا من الإشارة إلى ان البذخ في الطعام كان ولم يزل شكلاً من أشكال التعبير عن تقدير الضيف وهذا بلاشك أكثر وضوحاً لدى العوائل الموسورة و(البيكات) ورؤساء العشائر.

ان الغاية من الإشارة إلى الطعام في هذا الكتاب هو التعرف عن إنطباعات هذه المجموعة من الغرباء عن المجتمع الكُردي إزاء الغذاء الكُردي ونوعه، ومذاقه، ونظافته، ففي ذلك مدلولات سسيولوجية بلاشك لان من الطبيعي ان يألف المرء طعام المجتمع الذي نشأ فيه ولكنه قد لايستسيغ طعام مجتمع آخر ومن هنا كانت لنا وقفة مع الطعام الكُردي من وجهة نظر الرحالة ممن جمعتهم مع الكُرد موائد الطعام.

يصف مستر ريج وجبة فطور تناولها مع الباشا أي أمير امارة بابان الكُردية انها كانت ادنى إلى طعام العشاء منه إلى طعام الفطور اذ اشتمل على شتى أنواع اللحوم الناشفة وغير الناشفة ومن ضمن الأنواع الأخرى الصحن الشرقي اللذيذ المعتاد أي الفرهود (القوزي) المحشي وقد هيئت صحون الطعام وقدمت على الطريقة الفارسية التي اضافت مفخرة إلى المهارة الكُردية اذ كانت اقل دسامة واطيب مذاقاً من جميع اصناف الاكل التي تناولها ريج في بغداد أو في أي وقت كان على حد قوله.

جلس مع الباشا في صدر البهو، وقد وضع أمامهما خوان مستطيل من الخشب المصبوغ ذو قوائم ترفعه عن الارض بضع عقد صفت عليه صحون الطعام المتنوع، كما وضعت الصحون التي لم يستوعبها على الارض بالقرب منهما ووزعت بين الصحون عدة كاسات مملوءة بانوع المرطبات -الشرابت- وكلها مبردة بالثلج وكان بعضها لذيذاً للغاية وقد جثا إلى جانب الباشا على ركبة واحدة كردي بدين كالح الوجه وانهمك بسكب مزيج ابيض في كأس كبيرة وضع فيها الكثير من الثلج وكان الباشا يدير وجهه اليه بين آونة وأخرى ويتناول ملعقة كبيرة من ذلك المزيج.

كانت نظرة هذا الرجل اليقظة وهو يفرغ محتوى تلك الملعقة الكبيرة في فم سيده مضحكة بحيث لم يجرؤ ريج على النظر اليه ثانية وكان إلى جانبه شخص آخر في خدمة ريج ولما ادار وجهه اليه تقليداً للباشا ناوله ملعقة مملوءة من ذلك السائل فاذا به الشنين مبرداً بالثلج ممزوجاً بالاجاص الفج المفروم* وقد كان حامضاً إلى درجة اسالة دموع من عين شاربه (٨١).

* تفرم حبة الخضراء غير الناضجة ايضاً في الشنين وبعض القبائل تثرم قليلاً من سويقات البصل الأخضر لإعطاء نكهة الى الشنين وتكاد تكون هذه العادة قد إنقرضت (المؤلف).

ويصف مستر ريج (٨٢) رجال الدولة الحضور الذين وقف في خدمتهم عدد من الخدم وهم يجلسون حول موائد مستطيلة في الجانب الثاني من البهو.

ويعلق على طريقة تناولهم الطعام، فقد لاحظ ريج ان الأكراد لايزدردون الطعام ازدراداً، كالأتراك بل يتناولونه على مهل ويتسامرون عند الاكل وان الطعام يوضع امامهم كله مرة واحدة ويصف اعضاء المجلس، الجالسين بانهم يدخنون وهم على اتم حريتهم ويتكلمون كلما شاءوا (٨٨) عكس ما لاحظه ريج في بغداد اذ لايجرؤ المصاحبون (مصاحبجي) المستشارون قط على النظر يميناً أو يساراً في حضرة الباشا بل يتذللون وينحنون اثر كل كلمة تصدر من سيدهم كما انهم لايتكلمون الا اذا سمح لهم بالكلام (٨٢).

وفي موضع آخر من مذكرات ريج يذكر تناوله العشاء مع عثمان بك (شقيق الأمير) في السليمانية. ويعلق ثانية على طريقة تناول الكُرد الطعام إذ يذكر، الأكراد كالإيرانيين، يأكلون بتؤدة ويتحدثون خلال الاكل، ويطول وقت الطعام عندهم كما يطول عند البريطانيين، وهم ينفرون من طريقة الأتراك في التهام الطعام... ومقارنة مع طريقة الأتراك في تناول الطعام يقول ريج يضع الأتراك على المائدة صحن الطعام الواحد وبعد ان يتناول الضيف بضع لقم منه يرفع ويؤتى بصحن آخر، ويلوح ان هذه هي الطريقة التاتارية القديمة (٨٨).

ويصف ريج الافطار الذي تناوله وهو في طريقه من سنه إلى السليمانيه أي في طريق عودته وفي قرية سيوى تاله توقف ريج ومن معه للاستراحه وقد مد لهم رجل الدين في تلك القريه سماطاً غنياً بالعسل والزبدة الطرية واللبن الرائب والخيار والشنين، ويعلق ريج على هذا بقوله، ياكل اهل هذه الأقطار من الشرق العسل والزبدة سوية وقد تكون هذه عادة شائعة في الاقسام الأخرى منه - أي من الشرق (١٦٧).

من ملاحظة وصف ريج لبعض موائد الطعام وفرص تناوله مع الآخرين من الكُرد نستنتج ان ريج كان معجباً بطبيعة الطعام بشكل عام وكذلك بتعامل الكُردي مع الطعام أي عادات الطعام اذ لاحظ التؤدة وعدم الاستعجال واعطاء الوجبة حقها الإجتماعي فهي ليست عملية تناول غذاء وحسب بل هي مسامرة ومجالسة وحديث كما لاحظ ان نوع الطعام ادنى إلى العشاء منه إلى الفطور ونعتقد ان سبب ذلك يعود إلى رغبة الأمير في تقديم اقصى درجات الحفاوة فجعل من المائدة مائدة عامرة فلم تقتصر على ما يقدم في وجبة الفطور.

كما واشاد بالطهي الجيد للطعام وهنا لاننسى ان هذا ليس بمعيار عام لانه يصف طعاماً طهي في بيت امير...

ولاشك أن الخدمة التي ذكرها ريج من قبل الشخصين الجاثيين على ركبتيهما ويناولانهما

الشنين ملعقة فأخرى خدمة فيها الكثير من المغالاة ولكن يبدو انها بدورها خدمة لصيقة بمائدة الأمير وليس غيره اذ لانجد مثل هذه الخدمة حتى في بيوت أكثر الأكراد ثراء لكننا ننحو باللائمة على ريج الذي يصف الكُردي الذي انكب على خدمته بالهمجي... انه وصف مؤسف حقاً... فلماذا همجي؟؟ انه واحد من الخدم في بيت الأمير.

اما الميجرسون فقد سجل بدوره في مذكراته ماله علاقة بالأطعمة، واول اشارة إلى الطعام جاءت عند خروجه من مدينة دياربكر وهو يقصد مدينة الموصل بواسطة (الكلك)* (٩٦).

يتحدث سون عن المواد الغذائية التي اشتروها من سوق دياربكر، ليقتاتوا عليها في سفرتهم النهرية. ويذكر سون ان مشترياته الغذائية كانت خبزاً ورزاً وزبدة، وعدساً وبازلاء وشاياً وثلاث (كلات) سكر وثلاثة حبال طوال من الباميا المجففة وخضروات وفواكه مجففة (٩٣).

وفي كُردستان، يصف سون (الشنين) اللبن المخفف بالماء بشراب الأكراد القومي كما يتطرق دون تفصيل إلى العشاء الذي قدم له عندما حل ضيفاً على عادلة خانم، اذ يقول جيء بالعشاء في صينيتين كبيرتين من الرز (البلاو) واللحم والروب والحلوى والشربت (٢٧٣).

ويرسم سون صورة ذهنية جميلة لطقس الشاي، اذ يذكر، انفجر صبح يوم وصولي على اصوات (استكانات) الشاي تتناهى من خارج غرفتي وما ان فتحت بابها الا جوبهت باثنين من الحاشية يحملان جهاز الشاي، وهو (سماور**) كبير من شبه وحوض لغسل الصحون والاكواب والاستكانات*** الفارسية الصغيرة والصحون الصينية، وقدم الشاي الحار الحلو وثلاثة استكانات هي العدد الصائب وبين تقديم استكان واستكان يستطيع المرء ان يدخن ويسمح بفترة معقولة لتمر بين تقدمة وتقدمة وما ان تمت المراسيم الا حمل الجهاز خارجاً (٢٨٨).

اما بالنسبة للسيكائر فيحدثنا عن مشكلته مع التدخين منذ دخوله مدينة اورفة في كُردستان تركيا ويبدو ان في ذلك الزمان كانت السيكائر التي تسمى شعبياً (الزبانة) هي الشائعة في كُردستان تركيا اذ يقول سون، لقد جددت معرفتي بالسيكارة الكُردية وهي على ما يخيل لي من طرز خاص. لقد اتبع هذا النمط نتيجة الحاجة من دون شك وذلك ان التبغ

* الكلك: أخشاب (جذوع) الأسفنديار المصفوفة على قرب منفوخة بالهواء ويحمل تيار النهر هذه المركبة المائية بالمسافرين وأمتعتهم. وقد إنقرضت اليوم (المؤلف).

** سماور: إناء فيه أنبوب الى الأعلى وفي قاعدته وقود لتسخين الماء وينزل الماء من صنبور و(الشبه) هنا معدن أصفر اللون.

*** إستكان: قدح زجاجي صغير يستخدم لشرب الشاي فقط.

الذي يستنبت في كُردستان لايمكن لفه ليصبح (سيكارا) وبدلاً من ضغطه وابقائه مبتلاً ثم تقطيع ورقه ويعمد الأكراد إلى تجفيفه وسحقه حتى يغدو مسحوقاً خشناً ويلف هذا التبغ بورق السيكائر (ورق اللف) وهي عملية صعبة لغير العارف بها وعلى ذلك اخترع نوع من الورق اثخن من ورق السيكارة المعتادة وهو في الاقل اطول بمرتين تؤخذ قطعة طويلة من ورق سميك عرضها انج واحد وتلف بشكل حشوة، تدخل في النهاية الضيقة ثم يصب التبغ فيها من اعلى وبعد ملاينة وهز كافيين تدار نهايات الورق إلى الداخل للحفاظ على محتوياتها وان الضرر المتأتي من هذا النمط من السيكائر انه لما كان التبغ جافاً تماماً، ودقيقاً لذا فأنه لايتماسك عندما يدخنه المرء وبذلك تتساقط النهاية المتقدة دائماً (٧٤).

ويضيف ان في اورفة لم يكن يدخن غيره الا قليلاً، ولما كان يعلم بأن عليه ان يعتاد عليه اخيراً صمم على اقتناء سكائر جيدة لاطول مدة ممكنة لذلك فتش هنا وهناك على انتاج انحصار التبغ التركي (ريجي) واخيراً عثر على (دزينة) صناديق منه وكان ابتياعها مدعاة إعجاب اصحابه الأكراد العظيم فهذه هي البضاعة الوحيدة المحدد سعرها في تركيا وهي لو قورنت بالسكائر الشعبية غالية جداً فسعرها ضعف أو ثلاث اضعاف سعر السيكائر الشعبية...

ان شراءها ساعد على اطلاق لقب (أفندي) عليه هذا اللقب الذي ظل يلازمه كما يذكر حتى جبال الحدود الفارسية (٧٤)...

ان هَيْ يذكر ما ذكره سون تقريباً عن هذا النوع من السيكائر الذي كان شائعاً في كُردستان فيشير إلى ان السيكارة الكُردية اطول من سيكارتهم ببوصة أو أكثر والطول الزائد فيها عبارة عن زبانة وتبغها جاف وان هذه افضل أنواع التبغ الكُردي وان السيكائر تقدم بين حين وحين وخلال النهار غالباً ولايتوقف الكُردي عن التدخين الا نادراً وفيما خلا الوقت الذي يكون مخصصاً للاكل. انه ليحمل حقيبة تبغ دائماً ملحقة بمشد خصره وعلبة ورق تبغ ايضاً ولايزال بعض الطاعنين في السن من الفلاحين يصطنعون حجر القدح للحصول على النار لكن معظمهم يستعمل (قداحة). ويدخن القدماء من الفلاحين بواسطة (غليون) قصير من طين مفخور على حين يصطنع بعض الاغوات الكبار غليوناً من خشب ذا ساق طويلة جداً.

ويذكر هَيْ بعض أشكال الغليون التي يصل طولها إلى قدمين. والحقيقة فهناك من الغلايين ما هو اطول مما شاهده هَيْ ويتفنن بعض صناع الغلايين بزركشتها ولفها بلفات من القماش الملون وتشتهر مدينة العمادية بهذا الضرب من الصناعة الشعبية. وعن (الناركيلة) يذكر هَيْ انه يبطل استعمالها في كُردستان لا بل يعدون التدخين بها امراً معيباً (٧٠-٧١)...

يتطرق ويگرام في مذكراته إلى موضوع الطعام ففي زيارته إلى بارزان يذكر ان العشاء

كان يتألف من لبن وارز مطبوخ بدجاج وشاركهم طعامهم الشيخ* مع ثمانية أو عشرة من ابرز اتباعه كلهم مدوا ايديهم إلى الاطباق بملاعق خشبية ومغارف ولعل هذا من آداب السلوك (الاتكيت) ولقد ضرب الشيخ مثلاً بقلة الاكل (١٣٦-١٣٧) وفي موضع آخر يذكر ويگرام ان لحم الوعل الجبلي يؤكل هنا مع خبز البلوط، كوجبة طعام ويبدو ان ويگرام كان قد خبر هذه الوجبة في كُردستان. ويشرح الخبز المصنوع من دقيق البلوط، فيقول، قد يتبادر إلى الذهن ان هذا النوع من الخبز تعافه النفس الا انه كان لذيذ وثمر البلوط العجيب الشكل الذي ينمو في كُردستان كبير الحجم قد يساوي كستنة صغيرة وهو ليس كالبلوط الإنگليزي مر الطعم بل هو اقرب طعماً إلى الكستناء. ويأكلونه كما نأكله مشوياً وهم على العموم يطحنونه طحناً دقيقاً ويخلطونه بمقدار مساو من دقيق الشعير ليعملوا منه خبزهم وهم يزرعون القمح بكميات قليلة فلايمكن القول والحالة هذه ان خبز القمح مجهول عندهم على انهم يأكلونه على نطاق ضيق (١٤٥).

ان هذه الوجبة تناولها ويگرام عند عائلة كردية تدين بالمسيحية حيث لايختلف المسيحيون والمسلمون في نوع الاطعمة الا في تحريم المسلمين اكل لحم الخنزير وما سوى ذلك لانجد فرقاً في طعاميهما.

لقد دونت هانسن في مذكراتها بعض إنطباعاتها عن المأكل والمشرب في كُردستان، فلقد احبت شرب الماء في كُردستان، احبت القدح الزجاجي تتراءى من خلاله حبات الثلج هكذا تتغزل هانسن بقدح الماء وتقول عندما كنا في الدنمارك لا اذكر شربت الماء اذ كنا نشرب العصير أو أي مشروب اخر اما في كُردستان فقد احببت شرب الماء وفيه قطع الثلج ولما عدت إلى الدنمارك كنت لااستطيع الا ان ارى هذا المنظر، قدح فيه ماء وقطع ثلج وابقى امعن النظر فيه (٦٦).

ولاتخفي هانسن إعجابها في وصف عملية (اكلة الدولمة) من ورق العنب عندما استضافتها احدى العوائل الكُردية (٣٢) كما وانها تصف الـ(ماست او) أو مشروب - الشنين- اللبن المخفف بالماء والثلج وهو وعاء كبير وفيه مغرفة بأعجاب (٣٧) اما الكباب فقد شبهته هانس بالهمبركر ولكنه اسطواني ويشوى على النار مباشرة (٨٤).

لقد اطنب هَيْ في مذكراته في وصف الطعام والشراب في كُردستان من خلال حلوله ضيفاً على الوجهاء الكُرد وهو يصف الكُردي بأنه شريب شاي مفرط، ويقول ما ان فرغنا من

* يقصد الشيخ عبدالسلام البارزاني الذي أعدمته السلطات العثمانية في الموصل على أثر إنتفاضته في مطلع القرن العشرين.

احتساء القهوة حتى كان الشاي معداً. وكذلك يصف معدات الشاي من سماور وقوري* وصندوق استكانات وكيفية صنع الشاي وتقديمه ثم يؤكد ان الكُرد لايخلطون الشاي بالحليب وعلى الضيف ان يحتسي استكانين أو ثلاثة كما وانه يؤكد على نظافة اواني الشاي فقدح الشاي يغسل جيداً قبل ان يملأ ويصف الغداء الذي عادة يكون مؤلفاً من ارغفة رقيقة من خبز وبعض القطع التي هي اسمك منه وقد قليت بالدهن ومن ماعون فيه قطع من لحم الضأن المقلية وصحن من الروب (اللبن الخاثر) وما يتيسر من فاكهة الموسم واناء فيه الشنين، ولاتقدم السكاكين والشوكات وانما تقدم الملاعق حسب. وان افضل طريقة في تناول اللحم والروب هو التقاطه بواسطة قطع صغيرة من خبز رقيق (٧٤).

ويتحدث هَيْ عن (الماست او) و (الدو) ويصفها انها من مشارب كُردستان الاثيرة المحببة ويذكر بالتفصيل كيفية صنع (تخثير) اللبن وكذلك كيفية صنع شراب الدو واستخراج الزبدة منه ويذكر، ان شراب الشنين المعد من خلط اللبن (الروب) بالماء هو شراب الأكراد المحبب الاثير وليس ما هو أكثر انتعاشاً من صحن من هذا الشراب فيه قطعة من الثلج طافية في وسطه. ويرحب غالباً بالضيف بتقديمه له ان بلغ احدى القرى الكُردية في الفصل الحار وهو عطش وتعبان. انه يحتسى بملعقة واسعة من خشب.

وهناك فرق بين الشنين (ماست او) الذي هو مزيج الروب الخاثر بالماء والدو الذي هو مخيض اللبن المستخرج منه الزبدة فالثاني لايقدمه الكُرد إلى الضيوف من مقامات عليا بل يفضل الماستاو.

ان عادة غسل الايدي قبل وبعد الطعام من العادات التي سجلها عدد من الرحالة في كُردستان وهَيْ بدوره يذكر ذلك، والحقيقة أن العادة لاتقتصر على العوائل أو المضايف الغنية الموسرة بل يمكن ملاحظتها لدى العوائل الفقيرة (٧٥).

يذكر هَيْ، قبل البدء بتناول الطعام يجيء احد الخدم بإبريق ومناشف وصابون ثم يعمد إلى سكب الماء على اليد اليمنى لكل واحد من الضيوف وبعد الفراغ من الطعام يأتي بها ثانية ويذكر هَيْ ما يقدم في المضيف من طعام في المناسبات أو عند الاحتفاء بضيف عالي المقام فيقول، حمل كبير مطهو ومحشو بالرز والكشمش والبهار ويأتي في اعقابه صحن كبير يحتوي على الجوز المسلوق بالعسل اما الطعام فيتألف من صحن أو صحنين من الرز (بلاو) المعد بالدهن (رون) تعلوه قطع وعجات البيض (الاومليت) والكعك الحلو والروب والفاكهة. وكلها توضع على الصينية وفي آن واحد (٧٥).

* القوري: إناء صنع الشاي يمكن أن يكون من الخزف أو المعدن.

يبدو ان هَيْ قد لاحظ في بعض المناطق الكُردية مثل مخمور* يأكلون بأيديهم لاسيّما الرز (٧٤)، وهذا شائع فعلاً لدى القبائل التي تعيش في السهول القريبة من القبائل العربية بينما الشائع في عموم كُردستان استعمال الملاعق وإلى اواسط هذا القرن كانت الملاعق الخشبية من الامور المألوفة في القرى الكُردية ونكاد لانراها اليوم فقد حلت الملاعق المعدنية مكانها. ثم يتحدث هَيْ عن وجبة الافطار المؤلفة من الحليب الحار والروب والجبن (٧٧).

ونعتقد ان طبق البيض قد فات هَيْ فهو من الاطباق الشائعة في وجبة الفطور.

ان هَيْ يؤكد ان ما ذكره في الوجبات الثلاث هو ما يحدث في كل مرة يزار فيها زعيم كردي وان القوت الرئيسي لدى الفلاح الكُردي هو خبز الحنطة والزبيب والخضر والروب والبرغل وما الأخير الا حنطة مسلوقة ومسحوقة والبرغل يقدم على غرار ما يقدم الرز وانه لبديل ممتاز عنه (٧٧). ويبدو أن هَيْ معجب بالطهي عند الكُرد إذ أن الكُردي مفن في طهي الخضر.

وفي التلال يحل الـ(دوشاب) أو عصير العنب والعسل محل كل شيء لدى الطبقة الفقيرة على حين يكون البلوط القوت الرئيس في المناطق الجبلية النائية، والبلوط يسحق حتى يصبح دقيقاً فيخبز منه خبزاً لونه اسود لكنه ممتاز والمشروبات الروحية غير معروفة وما هو معتاد من المشروبات، الماء والشنين والاشربة الاثيرة المحببة تصنع من عصير العنب (٧٧).

ولعلها فرصة (لذيذة) ان تقدم وصفاً لعشاء كردي سجل تفاصيله هاملتون قبل انتهاء القرن العشرين بثمانين سنة. وبإعجاب، إعجاب بالطهي وبالنظافة. اذ يذكر، يقدم العشاء بعد الغروب بقليل ويؤتى به في صواني نحاسية دائرية قطرها يقارب ثلاثة اقدام يرتفع في وسطها تل من الذ وانفس الرز وحوله رقائق الخبز فيلف الرز ويدفع لقمة لقمة إلى الفم، وفي صينية أخرى تجد عدداً كبيراً من الاطباق بمخضرات الموسم المطبوخة والفواكه وطائفة منتخبة من انفس الطيور ولحوم الضأن الذي نحر خصيصاً لهم أي للضيوف. ان الطبخ متقن إلى الحد الذي يحوز على رضا اشد الابيقوريين** وهو من عمل زوجات الشيخ اللاتي لايظهرن لنا طبعاً وتجد فضلاً عن ذلك اطباق من المعجنات المسكرة والفطائر التي تذوب في الفم وثم ايضاً العسل البري وحلوى (من السما) من السليمانية ولبن بالزبدة (ماست) اذا اضفت اليه ماء نلت شربة منعشة حقاً واخيراً عناقيد كبيرة من العنب الجبلي، شجرته تنمو وتبقى تحت الثلج ويختتم العشاء بالقهوة والسيكاير والكُرد الجبليون لايقربون الخمر ولا الكحول ولاتستخدم الشوكات والسكاكين ولذلك يدور خادم قبل الطعام وبعده بالماء والصابون والمنشفة لغسل

* مخمور: قضاء كردي تابع لمحافظة أربيل في كردستان العراق.
** نسبة الى الفيلسوف اليوناني أبيقور، وقد عني بمسألة السعادة والملذات.

الايدي وبعد ان يصيب الشيخ وضيوفه كفايتهم يرفع الباقي ويكون كثيراً ليصيب منه اهل الدار عشاءهم (١٩٥).

وفي موضع مبكر من مذكرات هاملتون نجده يضيق ذرعاً بطهي الطاهي الهندي ويلوذ بالخبز والجبن الكُرديين وقد احب نوعاً من الخبز الذي يخبز في تنور ارضي وكذلك احب الجبن الكُردي اذ يقول لقد وجدت الجبن المحلي المصنوع من حليب المعز لذيذاً وان شابته حدة طعم وبعض رائحة وهو طويل البقاء (٦٤).

يذكر هنري فيلد وإهتمامه بكُردستان جاء متأخراً قياساً بما ذكرناه ممن كتبوا مذكراتهم، ان الرز اصبح الغذاء المستمر لكل الطبقات، ونوعيته تختلف باختلاف المناطق، ولكن الرز الذي يزرع في منطقة بروارى بالايعد الافضل.

ان "الاغوات*"- كما جاء في النص ويقصد - رؤساء القبائل والعشائر- يتناولون وجبتين كبيرتين في اليوم الأولى قبل الظهر والثانية بعد غروب الشمس. والغذاء يتضمن الخضار والحساء (المرق)، والبيض، والرز، ولحم الغنم المسلوق أو الدجاج.

اما الطبقات الفقيرة فلاتستطيع شراء اللحم وتقتات على الخبز والبيض والرز والخضار. وكل الطبقات يتناولون الحليب في وجباتهم (٥).

وأظن ان هنري فيلد قد اهمل (البرغل: سافار**) أو ربما ظنه نوعاً من الرز اذ كان البرغل أكثر شيوعاُ من الرز في كُردستان على حد علمنا وبالاخص بين الطبقات المتوسطة والفقيرة ولاسيما في الفترة التي زار فيلد كُردستان فضلاً عن مصادره المعتمدة فهو يتحدث عن حقبة العشرينات من القرن العشرين وكذلك فان الكُرد يتناولون اللبن العادي أو المخفف في وجباتهم كثيراً وليس الحليب.

ويمكن ان نقف إزاء ما كتب عن الطعام والشراب الكُرديين على بعض الاستنتاجات، فلم نجد اية اشارة إلى عدم استساغة الطعام الكُردي أو نقد لما يدخل في تكوين هذا الطعام بل هناك استساغة عامة له واشارات ايجابية إلى المطبخ الكُردي.

ويلاحظ البذخ في تقديم الطعام إلى الضيوف لاسيّما في مضايف رؤساء الكُرد وموسوريهم، كما وان هناك اشارات إلى تقاليد في الطعام لدى الأكراد تعد ايجابية، فقد لمس الرحالة نظافة الطعام والاواني ومسألة غسل الايدي والفم قبل وبعد الطعام وكذلك التؤدة

* الأغوات: الرؤساء باللغة الكردية.

** البرغل: قمح يسلق ثم يجفف بعد ذلك ويجرش ثم ينخل، فما خشن منه يطبخ كما الرز وما نعم منه يستخدم لأكلات أخرى.